في المصطلح الفلسفي
رسالة في تحقيق الأيس والليس
– لمجهول –

بتحرير أحمد بن سليمان بن كمال
من رجال القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري

أ.د علي حسين الجابري
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

لا خلاف على الحقيقة القائلة ان المفردة اللغوية ، لأية فلسفة، هي بصمة خاصة باللغة التي انتجتها ، بعدَ المفردة ، رمز دلالي مجرد ؛ داخل الاطار المعرفي ، ينطبق ذلك على اللغة اليونانية ، كما هي اللغة السريانية ، واللاتينية ، والعربية ، ولما كانت حيوية المفردات ، تبدو في ديمومة تداولها داخل منظومتها الرمزية ، اختفت الكثير من المفردات والكلمات ، او ذابت مع مكونات لغة ثانية ، اكثر حداثة في سلم التطور اللغوي ، داخل المنتجات المعرفية التي تراكمت في مناخها الجغرافي ، ومسرحها التاريخي : ومن بين هذه المفردات ؛ (الأيس)و (الليس) ، سريانياً وعربياً . واللافت للنظر ان (الاقليم الرابع) الذي يشمل حوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الاوربي الاسيوي الافريقي ومقترباته ؛ لم يكن المكان الاكثر حضارة في تاريخ الانسانية، فحسب ، بل كذلك الاعرف ، في (ولادة) الابجديات بين مناطق (العالم القديم) فلا عجب ، حين تتناسل فيه المفردات ، وتتعاكظ فيه القصائد ، وتتراكم فيه المصطلحات والمفاهيم ، وتنمو نمواً (طولياً وعرضياً) مع اتساع تجارب انسانها الحضارية ، في دوائر العلوم والفلسفات والعقائد ، حتى ، انتظمت شبكة مفهومية ، لغوية معقدة على مر التاريخ لايوجد لها شبيه بين لغات الشعوب الاخرى ، على الكرة الارضية ، لفرط مافيها من(اختصاص) تفصيلي لجزيئات ، الزمان والمكان ، والانسان ، (الحضارة) كما اجتمع للوريث الاخير ،من اللغات التي نبتت في هذه الربوع وبخاصة (وادي الرافدين = العراق) من السومرية فالاكدية ، والبابلية ، والاشورية ، والكلدانية ، سريانية كانت ام نبطية ، وعقائدياً صابئية كانت ام مسيحية ام عبرية ، وصولاً الى اللغة العربية في العهد الاسلامي ؛ والذي زاد في نضوج العربية وازدهارها وحيويتها لايعود الى (الموروث اللغوي) الباذخ المتوالد في هذه الربوع ! فحسب، بل والى البعد العقائدي الذي اقترن بالديانات المعروفة في هذا الاقليم ولاسيما الموحدة منها ، حتى اقترنت اليهودية بالعبرية والمسيحية بالسريانية واللاتينية ، والرومية والاسلام ، بالعربية.

لذلك حافظت على وجودها وحيويتها ، بعد ان اكتسبت مرونة في استقبال الجديد المستحدث من اللغات الاخرى بفضل تفاعل الشعوب وحوارها او من مستجدات الحياة ومتطلباتها الحيوية والحضارية هكذا كان شأن مفردتي (الأيس) و(الليس) اللتين عبرتا من اللغات القديمة الى الحية ، أي من السريانية الى العربية واحتفظت بنسغها الفلسفي الحي ، بفضل المكانة التي اختارها لها (الكندي الفيلسوف) في بيت الحكمة العباسي وتنقل من الفلسفة الى علم الكلام والتصوف، حتى وصل الينا في هذه الرسالة ، التي عقدنا العزم على تحقيقها ونشرها بعد ان

تأكد لنا بالادلة والشواهد المتواترة ، ان هاتين المفردتين ؛ مقترنتين؛ بمباحث الوجود والعدم ، الفلسفية التي قامت عليها قضايا المنطق والميتافزيقا وشبكتها من التداخل والتقابل او التضاد ، والتناقض .

وهكذا احيت الفلسفة والعلوم ، في مرحلتها الاسلامية وبواسطة العربية ، مفاهيم، شرقية قديمة ، الى جانب ما احيت من مفردات يونانية معرَبة ، في دائرتي العلوم والفلسفة ، الى يوم الناس هذا .

فعسانا نوفق في هذا المشروع .

الباحث

التمهيد :

ليس من مكرور القول ، ان أروقة بيت الحكمة العباسي ، شهدت احياء ابو يوسف، يعقوب بن اسحق الكندي (ت ٢٥٢هـ / ٨٦٦ م)

للعديد من المصطلحات الفلسفية ذات الجذر الضارب في عمق الذاكرة اللغوية العربية ، وهو يتحدث عن (الأيس والليس) في تعريفه للخالق سبحانه وتعالى قائلاً : " هو مؤيس الأيسات عن ليس ")1(، اي موجد الاشياء من لا شئ .

ان دراسة جادة حول الجذر اللغوي لكلمتي (أيس) = الوجود ، (وليس) = العدم ، سبق وانجزتها الدكتورة ماجدة عماد الدين سالم)2(وكشفت من خلالهما ، الارومة المشتركة ، للسريانية والعربية القديمة ثم جاءت دراسة تلميذنا (عمر فرج زوراب) لتشكل جوهر رسالته للماجستير عن الكندي)3(. وكيف اظهرت توافق الفهم الفلسفي للكندي مع روح النص القرآني ، متفوقاً على الفهم اليوناني لافلاطون وأرسطو)4(.

وكما قلنا في المقدمة ان موضع الاغراء في الرسالة التي عملنا على تحقيقها ودراستها (موضوعة البحث) ، هو كونها تعود الى ذات المبحث الفلسفي ، عن الوجود والعدم ، بعد اكثر من سبعة قرون من عصر الكندي ولاسيما صيغة العنوان ، واعني به " رسالة في تحقيق الأيس والليس " التي نجهل تاريخها واسم صاحبها ، لكنها بالتأكيد جاءت بعد زمن الشريف الجرجاني)*(المتوفي سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٢م المنوه في اكثر من موضع في هذه الرسالة .

ان مجهولية المؤلف (المؤقتة) لا تلغي (أهمية الموضوع) ومعلوميته ، والى حين الكشف عن صاحب الرسالة ، نقدم بهذه المحاولة ، ثمرة من ثمار التعاون المشترك مع دار بغداد للمخطوطات خلال صيف ٢٠٠٢ .

فشكراً لادارة الدار ، ولهيئة التراث والاثار ولوزارة الثقافة لتوفيرها ظروف البحث في الخزانة الفلسفية الثرة التي بها حاجة الى مزيد من البحث والدراسة والتحقيق، ولاسيما للمخطوطات المنطقية والفلسفية والكلامية والعلمية ، التي تعَد بعشرات الالوف .

والاكثر اهمية في هذا المشروع ، ما انجزه المفكرون العرب والمسلمون ، في المرحلة المظلمة ، اي ما بعد سقوط بغداد، الى التاريخ الحديث ، وهو جهد مهم، لكنه مخفي في دائرة الظل .

وهذا التحقيق هو جزء من انجاز هذا الهدف الذي سنقف من خلاله على ، المخطوطة ، وظروفها ، ومكانتها في خارطة الانجاز الفلسفي الاسلامي ان شاء الله.

اولاً : المخطوطة الأم)(:**

مجموع الرسائل الفلسفية محفوظ في (دار بغداد للمخطوطات) تحت رقم (٣٠٢٩٥) مجهول المؤلف ، يحتوي اشارة لأسم واحد في صدر المجموع هو احمد وقيل شمس الدين محمد بن سليمان بن كمال ، هكذا من غير تعريف ، ويضم (٣٢) رسالة في موضوعات متنوعة تبدأ بتفسير سورة الملك ، وتلته رسالة ، شرح حديث الاربعين (هنا يدخل اسم احمد بن سليمان بن كمال)... وتَتابع الرسائل، ذات الموضوعات المختلفة والاطوال المتفاوتة ، وهي على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - رسالة في طبقات المجتهدين [5] .

٢ - رسالة في تحقيق النظم والصياغة [6].

٣ - رسالة في اسلوب الحكيم [7].

٤ - شرح رسالة الخمرية [8].

٥ - رسالة في تحقيق الطفرة في الجسم [9].

٦ - رسالة في تحقيق وجوب الواجب [01].

٧ - رسالة في بيان مسألة خلق القرآن [11].

٨ - رسالة في بيان القضاء والقدر [21].

٩ - رسالة في التعريب [31].

١٠ - رسالة القائلين بالواجب موجب بالذات [41].

١١ - رسالة في الحال من اصحابنا واصحاب الاعتزال [51].

١٢ - رسالة في لزوم الامكان للممكن [61].

ثانياً : الرسالة :

اما رسالتنا موضوع الدراسة والتحقيق ، فجاءت في الاوراق (٢٧٦ أ – ٢٨٠ ب) تحت عنوان (رسالة في تحقيق الأيس والليس) المكتوب بالمداد الاحمر في ذيل (الورقة ٢٧٦ أ) .

ان – الرسالة المحققة – يصعب نسبتها الى مؤلفها بسبب فقدان آخرالمجموع . فالمؤلف / مجهول [71] ، وهي تعود الى ما بعد عام ٨١٦هـ / ١٤١٢ م تاريخ وفاة الشريف الجرجاني [السيد علي بن محمد بن علي السيد الزين ، ابي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي ٧٤٠ – ٨١٦هـ / ١٣٣٩ – ١٤١٢ م]. يقول خبراء الدار ، ان الخط يشير الى عائدية المخطوطة الى القرن الحادي عشر للهجرة ، وان كان تاريخ النسخ هو (١١٣٥هـ / ١٧٢٢م) .

الخط / تعليق ، تحتوي الورقة على (١٣ سطراً) كل سطر بـ (عشر كلمات) طولها ١٥,٥ سم × عرضها ١١ سم .

وسنترك احتمالات (المؤلف ، وزمانه) الى غيرنا من الباحثين ، او الى فرصة قادمة نسلط الضوء من خلالها على معميات المخطوط المحقق .

اما محرر المجموع ، ومنها هذه الرسالة : احمد بن سليمان بن كمال فقال عنه البينانوي ، هو " شمس الدين ، محمد بن سليمان بن كمال " من المفكرين الذين اكدوا في الفعل الاجتهادي على ضرورة ، بيان " الحدود الزمنية للاجتهاد ، والمدى الذي ينبغي للفقيه ، الاَ يتجاوزه " محذراً من المبالغة في منح العقل حرية مطلقة في التشريع من غير دليل نقلي)*(.

وبهذه الكيفية ، اتضح لنا المنهج الفكري (لابن كمال) والحقبة الزمنية التي ينتمي اليها ، وان لم يكن ذلك التحديد على سبيل القطع ، ولاسيما ان من بين الاحتمالات التي وضعها المحقق ، لمؤلف الرسالة :-

١ - لابد ان يكون مع او بعد زمن الشريف الجرجاني ، المتوفى في ٨١٦هـ / ١٤١٢ م . للاستشهادات الواردة عنه في ثنايا الرسالة .

٢ - واذا كانت نتائج تحليل الخط وطريقة العرض ، بما قبل القرن الثاني عشر الهجري ، فهو يقترب من القرنين العاشر والحادي عشر ولاسيما فلسفياً من زمن ملا صدر الدين الشيرازي المتوفى سنة (١٠٥٠هـ / ١٦٤٠ م) او تلميذه ملا محسن الفيض المتوفى سنة (١٠٩٠هـ / ١٦٧٩ م) او لمفكر ثالث سيعرف لاحقاً ، وهذا ما نتركه لغيرنا من المحققين ، في القادم من الزمن .

(النص المحقق)

(ذيل ورقة ٣٧٦ أ) (هذه رسالة في تحقيق الأيس والليس)

[الحمد لله المتوحد بالوجوب والمتفرد بالقدم ، الذي اخرج العالم الى نور الأيس والوجود من ظلمة الليس والعدم ، والصلاة على محمد سيد اولاد آدم ، وعلى آله واصحابه بتعاقب)81(الانوار والظلم . وبعد: فهذه رسالة مرتبة في تحقيق من الليس والأيس فأنه قد اشتبه على كثير من الفضلاء، حتى ظلّوا فيه عن سواء الطريق ، فنقول ومن الله التوفيق ، إعلم ان الممكن)91(وهو ما لا تقتضي ذاته ان يكون موجوداً ولا ان يكون معدوماً لما كان صالحاً لأن يتوارد عليه الوجود والعدم على سبيل البدل)02(جزم . كان في حدَ نفسه عارياً عنهما ، لا بمعنى ان واحداً منهما ليس عينه ولا جزؤه ، اذ لا يكفي هذا المعنى في تصحيح تلك الصلاحية ، كيف لو

كان واحداً من الوجود والعدم لازماً لذاته من حيث هي هي ، لما كان قابلاً لآخر صالحاً لأن يحصل له مع تحقق المعنى المذكور ، بل بمعنى ان ماهية الممكن في حدَ ذاتها ، وهي مرتبة معروضيتها)12(للوجود والعدم ، خالية عنهما غير موصوفة بواحد منها ، ولا استحالة في خلو مرتبة عقلية عن النقيضين)22(. بمعنى انه ليس لواحد منها لشئ في تلك المرتبة انما – لا)32(ستحالة في خلو وقت خارجي عنها ، وبهذا تنحل شبهة الاشعري)42(في زيادة الوجود ، وتقديرنا : انه من حيث هي غير موجودة فكانت معدومة مرتبة معروضيتها للوجود خالية عن الوجود فكانت معدومة اي كانت في المرتبة المذكورة ، موصوفة بالعدم لأستحالة ارتفاع النقيضين ، فيلزم في اتصاف المعدوم بالوجود انه تناقض لا بما ذكره الفاضل الشريف)52(في شرح المواقف)62(وهو : ان الماهية من حيث هي لا موجودة ولامعدومة)72(، بمعنى انها ليست عين الوجود ولا عين العدم)82(وانه ليس شئ منهما داخلاً فيها ، بل كل واحد منها زايد عليها فأذا اعتبر معها العدم كانت معدومة واذا لم يعتبر معها لشئ منها لم يكن ان يحكم عليها بأنها موجودة او معدومة)92(، ولانعني به ان المهَية (الماهية) منفكة عنها معاً ، حتى يلزم الواسطة ، لانه لايجدي نفعاً في دفع تلك الشبهة على الوجه الذي قررناه . □نعم□ قول صاحب)03(المواقف. والحل ان الماهية من حيث هي لا موجودة ولامعدومة ، صالح لأن يحتمل على ما اسلفناه من التحقيق القاطع لوعي)13(الشبهة المذكورة وكم من عايب قولاً صحيحاً وفيه من الفهم السقيم لا يقال اذا لم يكن للماهية في مرتبة المعروضية الوجود لابد ان يكون لها في تلك المرتبة العدم (و) الا لزم الواسطة ، وايضاً لا معنى للعدم الا سلب الوجود فأذا ثبت ان (ليس) لها الوجود في تلك المرتبة ، ثبت انها معدومة فيها لأنا نقول نقيض وجودها في تلك المرتبة سلب وجودها فيها على طريق نفي المقيَد لا سلب وجودها المتصف ، ذلك السلب بكونه في تلك المرتبة ، اعني النفي المقيَد ، فلا يلزم من انتفاء الاول ، تحقق الثاني)23(لبقاء احتمال آخر هو أن لايكون اتصافها بالوجود ولا اتصافها بالعدم في تلك المرتبة . والتحقق ان سلب الوجود عن شئ في زمان يستلزم الاتصاف بالعدم في ذلك الزمان ، والا لزم خلوه في ذلك الزمان عن طرف النقيض وهو محال)33(. اما سلب الوجود عنه ، في مرتبة معينة فلا يستلزم اتصافه بالعدم في تلك المرتبة ، على ان يكون المرتبة طرف الاتصاف ، فأن خلو المرتبة عن النقيضين ، بمعنى انه ليس بشئ منهما في تلك المرتبة غير محال بل واقع على ما نبهت عليه فيما تقدم . ويشهد على ذلك شهادة لا مرد لها ، ان كل معلول بسيط متأخر عن علته التامة ،

فلا وجود له في مرتبة علته التامة ضرورة . أن الوجود والعدم لايجتمعان في زمان ، فأذا قارن احدهما العلة التامة يكون الآخر في زمان آخر . واذا تحققت ، ان الممكن ذاتاً خالية عن الوجود والعدم ، في مرتبة هي مرتبة اصالة ، ومعروضيتها لهما ، فقد وقفت على مراد القوم من قولهم : الانسانية من حيث هي انسانية ، ليست الا الانسانية[43]. وليست موجودة ولامعدومة ، ولا واحدة ولا كثيرة ، ولا شيئاً من المتقابلات ومن حيث أن قول الفاضل الشريف[53] في شرح ما ذكر على ، ما معنى ان شئ منهما ليس نفس تلك المهَية (الماهية) ، ولا داخلاً فيها ، لا على معنى انها ليست متصفة بشئ منها ، فأنها يستحيل خلوها عن المتقابلات ، اذ لابد لها من الاتصاف بواحد من المتناقضين تفسير للكلام بغير معناه ، وتنزيل له على غير معناه ومبناه (في) العقول ، عن عدم الاستحالة في خلو المهَية (الماهية) عن غير المتناقضين في مرتبة معينة . واعلم ان ارباب الحكمة قد عبروا في كتبهم عن حالة خلو المهَية (الماهية) من الوجود والعدم ، في درجة اصالتها ، ومرتبة معروضيتها ، لكونها نفياً محضاً وسلباً بحتاً بالليسية ، واشارة الى انها شأن ذاتي لها غير مستفاد من الغير ، حيث قالوا للممكن عن ذاته ان يكون – ليس – وعن علته ان يكون أيس ، قال المعلم الثاني ابو نصر الفارابي في الفصوص[63] " المهية المعلومة لها عن ذاتها ، ان ليس[73] ، ولها عن غيرها ان يوجد ، والامر الذي عن الذات قبل الامر الذي ليس عن الذات " . انتهى - ولعدم التنبه على ان مرادهم من الليس ، امر وراء العدم . لا العدم نفسه ولا مايصدق عليه كيف ، ونفيه ايضاً معتبر فيه وان يكون الليس المذكور وان يجري مجراه ، هو اللاوجود عن ذات الممكن لا يستلزم استحقاقه لذاته باحد الطرفين . اعترض عليهم الامام[83]. تارة (قائلاً:) " بأن الممكن لا يستحق الوجود من ذاته ، ولا يلزم منه ان يستحق اللاوجود هو الممتنع "[93] واخرى " بأن المعلول ليس له في نفسه ان يكون معدوماً كما انه ليس في نفسه ان يكون موجوداً ، ضرورة احتياجه في كلا طرفي الوجود والعدم الى العلة "[04] وانت ، بعد ما وقفت على ماقدمناه لك ، عرفت ان دايرة الاعتراضين على العدم لا على المفهوم ، ثم قد انكشف لك من البيان السابق لسر اخر ، وهو : ان ما ذكر في الحديث الذاتي من مسبوقية الوجود ، ليست مسبوقية بالعدم ، قال الشيخ[14] في الشفاء : للمعلول في نفسه ان يكون له عن علته ، ان يكون (ليس) الى موجود او الذي يكون للشئ في نفسه اقدم عند الذهن بالذات لا بالزمان ، من الذي يكون له من غيره ، فيكون كل معلول ليساً بعد ليس ، بعدية بالذات . وقال في النجاة[24] : " يكون شكل المعلول

في ذاته ، واولاً (انه ليس) ثم عن علته ، انما انه ليس[34] فيكون كل معلول محدثاً اي مستفيداً للوجود من غير وجود ذاته في ذاته لأن لا يكون موجوداً فيكون كل معلول[44] محدثاً في ذاته، وان كان مثلاً في جميع الزمان موجوداً ، مستفيداً لذلك الوجود عن موجده فهو محدث . لأن وجوده ، بعد لا وجوده، بعدية بالذات " انتهى كلامه (واتضح الدليل)[54] منه ، ان صاحب المواقف[64] اصاب في قوله : " لاوجوده الى وجود ممكن يقدم على وجوده بالذات وهو الحدوث الذاتي "[74] وان لم يصب في تعريفه على ما قدمه من ان الممكن لذاته غير مقتضي للوجود لغيرة مقتضي له ، وما بالذات مقدم على ما بالغير ، فلوجب ما تقدمه ، تقدم لا اقتضاء الممكن لذاته ، الوجود على اقتضائه اياه بالغير(لا) بالذات ، واين هذا مما ذكره في معرض التفريع ، من تقدم لا وجوده على وجوده بالذات ، وانما تفرعه على ما قدمناه ككل ، فتدبر . وان الفاضل الشريف[84] اخطأ في تفسير اللاوجود بالعدم ، ثم في قوله : " وهو ان تقدم العدم على الوجود بالذات هو الحدوث الذاتي ، ولخفاء الحال في هذا المقام ، قال : ويظهر من هذا الكلام ؛ ان الحدوث الذاتي عندهم ؛ هو مسبوقية الوجود بالعدم ايضاً كالحدوث الزماني ، الا ان السبق الذاتي بالذات، وفي الزماني بالزمان ، وقدح[94] بذلك بعض الفضلاء ، لكنه اشكل جداً فأن العدم لا تقدم له بالذات على الوجود ، والا كان علة له[05] . او لعلته، ولا يتصور ذلك في الممكنات المستمرة الوجود في الازل عندهم ، مع كونها محدثة حدوثاً ذاتياً . فأن منشأ ما ذكره ؛ عدم الفرق بين الليس والعدم ، فأن قلت ان لمسبوقية الأيس والليس تتفرع على زيادة الوجود على الماهية فأنه لا بد لها من مرتبة المعروضية للوجود وهي في تلك المرتبة عارية على ما نبهت عليه في اول الرسالة . ولا دخل فيه لكون احدهما بالذات والاخر بالغير[15] . فما وجه تمسك الشيخين[25] بهذه المقدمة في بيان المسبوقية المذكورة (؟) قلت : بل له دخل تام في المطلب المذكور ، فأنه ما لم يثبت ان الليس بالذات والأيس بالغير ، وانَ ما بالذات سابقاً على ما بالغير سبقاً بالذات ، لا يثبت مسبوقية الأيس بالليس ، اذا لم يثبت بعد ان جامع العلة ، علة ، حتى يلزم من تحقق الليس مع المهَية (الماهية) ، حال كونها في مرتبة المعروضية ، سبقه بالذات على الأيس ، فأن قلت كما لم يثبت بعد ان مانع العلة ، لم يثبت ايضاً ان ما بالذات مقدم على ما بالغير (؟) . قلت : ليس الكلام في ثبوته ، بل في قيام الحاجة اليه في هذا المقام ، والوجه عنده في بيان تقدم الليس على الأيس بالذات ، وان يقال ان صريح العقل حاكم بأن الممكن انما يستفاد الوجود من الغير لأجل انه

ليس[35] بموجود في حد ذاته ، اذ لو كان له وجود في ذاته ، لم يكن ان يستفيد الوجود من الغير ، والا يلزم تحصيل الحاصل[45] ، فالوجود المستفاد من الغير معلل باللاوجود الحاصل في حد ذاته ، فيثبت ان الليس سابقاً على الأيس سبقاً بالذات "[55]] .

(انتهت الرسالة) [65] .

الخاتمة :

اجتمع في عملية البحث عن حقيقة مصطلح الوجود والعدم (الأيس والليس) في الفكر الاسلامي تحقيقان :

الاول : تحقيق مؤلف الرسالة (المجهول) حالياً .

والثاني : مشروعنا هذا لتحقيق الرسالة ، خلال معايشتنا في صيف ٢٠٠٢ في دار بغداد للمخطوطات . اما الغاية المشتركة ، للمؤلف المجهول (مؤقتاً) ، والموضوع المعلوم (فلسفة) هو احياء ما اندثر من مصطلحات تراثية، ولاسيما تلك التي انتشلها الكندي ، من هوة النسيان ليضعها في صدر الذاكرة الفلسفية وهو يتحدث عن نظريته الكونية ، مذكراً بعظمة الخالق ، " مؤيس الايسات عن ليس " .

ثم بعد قرون خلت ، توزع وجود هذين المصطلحين الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وهو ما عُرف (بدقيق الكلام) الذي هو جزء من اهتمام المؤلف . الذي اسهب في بيان المعنى الاصطلاحي ، وهو ينتقد الرؤية الاشعرية لمسألة الوجود والعدم ، ولاسيما (مسألة شيئية المعدوم) ، أو لا شيئيته .

فجاءت هذه الرسالة لا لتجعل (العدم) اصل (الوجود) ولا اللاشئ اصل للاشياء؛ بالمعنى العلي ؛ بل لتقول لنا : ان عظمة الخالق تتجلى في (امر كن) وبديع السماوات والارض ، الذي اوجد (الموجودات) من (لا شئ) ولا على مثال مما لا دخل (للعدم) فيه ، ولا (الوجود) !

وهذه هي خلاصة قول الكندي ، ان الله سبحانه هو " مؤيس الأيسات عن ليس " و " المبدع الممسك بما ابدع " بشهادة النص المقدس " بديع السماوات والارض " [البقرة ٢ / ١١٧] .

وبهذه الكيفية ، اقترب الكندي وغيره من المتكلمين ؛ من روح النص المقدس ، وتناغم مع الاجوبة العقلية لمتكلمي الاسلام ، بعيداً عن المعاني المعطلة للقدرة الالهية التي عرفت بها الفلسفات اليونانية الوافدة !

لقد اجتمعت الرؤية الفلسفية ، التي جاء بها الكندي ، مع اراء الغزالي ، وابن رشد ، وبعد زمانهم ، بقرون ، تأتي (رسالة الأيس والليس) لتعيد الى ذاكرة البحث الكلامي والفلسفي العربي الاسلامي ، الحديث عن (الوجود والعدم) مما هو محل اهتمام الباحثين في اصل الوجود ! جاءت هذه الرسالة لتتحدث عن مفاهيم اصيلة تحفظ للفهم العربي الاسلامي جوهره ، وان كان عصر الرسالة المبحوثة هو عصر تخلف وانقطاع ونكوص .

ان بالمخطوطات الفلسفية حاجة الى دراسات جادة للكشف عن الاصيل فيها . وهذه واحدة من المحاولات البسيطة . ومن الله التوفيق والسداد .

هوامش

[1] الكندي : الرسائل : تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي ابو ريدة (ج/١) القاهرة ١٩٥٠ ص ٢١ .

[2] ماجدة عماد الدين سالم : أيس وليس بين العربية والسريانية (دراسة مقارنة) . بحث منشور في العدد (١٧) من مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة السريانية . بغداد ١٩٩٩ ص ١١٣ - ١٣٥ .

[3] عمر زوراب : مسألة خلق العالم في فلسفة الكندي . رسالة ماجستير بأشرافنا ، من اداب / مصراته - ليبيا . ٣٠ تموز ٢٠٠١ ، ص٢٠ وماتلاها .

[4] ارسطو طاليس : كتاب الطبيعة (ج/١) و (ج/٢) ترجمة اسحاق بن حنين ، وشرح ابن ابي السمح وابن عدي ، ومتى بن يونس ، وابي الفرج بن الطيب . تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي ، ج١ ط٢ القاهرة ١٩٨٤ ص ٧٨ - ٤٨٩ و ج٢ ط١ القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٩٠ - ٩٣٤ .

[*] لم نجد لكلمتي الأيس والليس حضور ، في تعريفات الجرجاني ، مع انه كتاب جاء تلخيصاً للمصطلح الفلسفي والكلامي العربي الاسلامي .

تراجع طبعة البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٨ حرفي الالف واللام . كما لم نجد لها حضور في(المصطلح الفلسفي عند العرب) صناعة الدكتور عبد الامير الاعسم . منشورات مكتبة الفكر العربي بغداد

١٩٨٥ ص ١٦٤ باستثناء رسالة الحدود للكندي ص ١٩٠ وهامش ١٢ منها وردت في سياق التعريف .

)**(نقصد بها ، الرسالة موضوعة البحث اولاً . كما نقصد بها ايضاً (مجموعة الرسائل) التي ضمها المخطوط المرقم ٣٠٢٩٥ المحفوظ في دار بغداد للمخطوطات - هيئة التراث والاثار - وزارة الثقافة - بغداد .

)5(في الاوراق ١٥٥ - ١٦٠ .

)6(في الاوراق ١٦١ - ١٩٢ .

)7(في الاوراق ١٧٣ - ١٧٦ .

)8(في الاوراق ٢١٣ - ٢٣١ .

)9(في الاوراق ٢٧١ - ٢٧٦ وهي النظرية التي سبق وتحدث عنها ابراهيم النظام من المعتزلة (ت ٢٣١ / ٨٤٥) .

)01(في الاوراق ٢٣٢ - ٢٥٧ .

)11(التي كانت وراء محنة (المحدث احمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) ثم بسببها كانت محنة المعتزلة ، راجع عن ذلك مفصلاً : كتابنا الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية . دار عويدات بيروت ١٩٧٧ ص ٩٤ - ١٠٠ ، وردت في المجموع ضمن الاوراق ١٠٥ - ١٢٦ .

)21(وردت في الاوراق ١٢٧ - ١٥٢ .

)31(وردت في الاوراق ١٩٦ - ٢١٢ .

)41(وردت في الاوراق ٢٥٨ - ٢٧٠ .

)51(وردت في الاوراق ٢٨١ - ٢٨٥ .

)61(وردت في الاوراق ٣٢١ - ٣٣١ .

)71(تشير عنوانات الرسائل التي يحتويها المجموع ، الى ان صاحبها ليس بأشعري ، لانه ينتقد الاشاعرة في اكثر من موضوع وليس بأثنا عشري سلفي ، لوضوح هوية الافتتاحيات الاثنا عشرية السلفية في هذه الموضوعات الا اذا كان فيلسوفاً . كما انه سجل نقداً لاراء بعض المتكلمين ولا سيما الايجي ، والجرجاني مما يقترب به الى دائرة الفلسفة ، والحكمة العقلية . ودقيق الكلام .
لعله واحد من الذين شرحوا المواقف للايجي ، او علقوا عليه بحاشية او ذيل وهم كثر مثل الطوسي والكرماني والابهري والجرجاني ، والهروي والسلكوتي ، والفناري والبساطي والقزويني والتبريزي وميرزاجان واللاهوري ، .. ولعله احمد بن سليمان بن كمال نفسه . (المحقق) .

)*(يراجع البينانوي ؛ احمد بن عز الدين : الاجتهاد والمجتهدون - حلب ١٣٨٨ هـ ص ١٠٧ - ١٠٨ . وكتابنا الفكر السلفي طبعة منقحة دار مجدلاوي عمان ٢٠٠٧ ص ١٧٧ .

)81(وردت هكذا بتعاقب .

)91(اي ممكن الوجود المعلق في وجوده على غيره .

)02(وردت في الاصل البذل .

)12(اي كونها عرضاً قابلاً للوجود في اي موضوع .

)22(اي الوجود والعدم .

)32(انشطرت كلمة لاستحالة على سطرين .

)42(يقصد بها (ابي الحسن الاشعري) .

)52(يقصد الشريف الجرجاني صاحب التعريفات والمتوفى سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٢ م .

)62(للايجي صاحب كتاب المواقف ، والذي شرحه الجرجاني .

)72(بمعنى (استعداد) لتقبل صورة الوجود والامكان .

)82(اي ليس فيها شئ من (الوجود) ولا (شئ من العدم) انما هي (امكان) !

)92(انها (وسط بين الوجود والعدم) وليس فيها شئ منهما .

)03(الايجي .

)13(غير واضحة في الاصل ربما لوفيَ .

)23(ولبيان معنى الماهية ووسطيتها يرى المؤلف انها فوق احتمال المعنى المقابل للنقيض ، فليس بالضرورة مع معنى الماهية ، ان تكون وجوداً عند انتفاء العدم ، وليس العكس! فهي اذن علاقة اكثر منها طرف .

)33(اي بالامكان الحديث عن تبادل مواقع في (الماهية) ان كان الامر متعلقاً بمقابلة الامر بوجود زماني واحد .

)43(المعنى المقولي الكلي (العقلي) المجرد . مثل الانسانية فوق ان يكون معدوماً او موجوداً بمعنه (الكلي). لان الانسانية (مفهوم عقلي مجرد) وليست وجوداً مشخصاً ، الا بالاجزاء. والجزء لا يساوي الكل من جانب . ولايجتمع الكل في مجموع الاجزاء! لان الكلية معنى شمولياً مجرداً .

)53(الشريف الجرجاني الذي يكثر المؤلف من الحوار معه والاحالة اليه ، ولاسيما في شرحه للمواقف ، وتعليقاته على الفلاسفة . راجع شرحه المذكور في طبعة دار الخلافة في الاستانة – مطبعة حاج محرم افندي الاستانة ١٢٨٦ هـ ، ص٤٦٠- ٤٧٩ .

)63(للفارابي كتاب الفصوص ورد ذكره ضمن مجموعة رسائل (المكتبة المركزية لجامعة طهران تحت رقم ٢٤٠) ولم نقف عليه (راجع جعفر آل ياسين في تحقيقه لكتاب تحصيل السعادة للفارابي طبعة دار الاندلس بيروت ١٩٨١ ص٢٧) .

ونحن نعلم ان لابن عربي ت ٦٣٨هـ / ١٢٤١م كتاباً بعنوان فصوص الحكم بمجلدين ، نشر وتحقيق وتعليق ابو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٥٤ . والمقصود هنا هو الفارابي طبعاً ، (مح) .

)73(يقصد الفارابي بالليس ، وراء العدم وليس العدم نفسه لذلك يساوي بين الامكان ، واللاوجود الذي هو غير العدم ، (مح) .

)83(يقال هذا الوصف على الامام ابي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) كما يقال على فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، (مح) .

)93(اي الذي يتعذر وجوده ، وهو غير العدم ، وغير الامكان ، (مح) .

)04(بمعنى ان الامر يتعلق (بالعلة) التي تدخل فتحول الممكنات الى موجودات ، على سبيل الابداع ، والخلق .

)14(ابو علي ، الحسين ، بن سينا (ت ٤٢٨هـ) والشفاء موسوعة تحتوي العلوم الالهية والطبيعية والمنطقية ... الخ كتبها ابن سينا ليثبت لشيوخه في بغداد ، انه مستوعب للدرس الفلسفي في جميع ميادينه وفروعه على الرغم من عدم وصوله الى بغداد ، (مح) .

)24(كتاب اوجز فيه الشيخ الرئيس ، موضوعات الشفاء (الموسوعي) ليسهل على الدارسين فرصة استيعاب موضوعاته ، (مح) نشره محي الدين صبري الكردي القاهرة ١٩٣٨ .

)34(اي في ذاته ومن ذاته مرة . وبعلته اخرى ، تلك هي منطقة الوسط (للماهية) عند مفكري الاسلام ، (مح) .

)44(بمعنى انه مخلوق مبدع ! مدين في وجوده الى علة اخرى كانت سبباً في حدوثه وتحققه ، وامكانه ، (مح) .

)54(مشوشة غير واضحة ربما (اتضح كذلك) ، وكلا القرائتين تعطيان المعنى نفسه ، (مح) .

)64(عضد الدين الايجي ولاسيما في كتابه المواقف ، (مح) .

)74(اي الحدود . من غير علة خارجة عن الموجود ، (مح) .

)84(الجرجاني ، هنا وفي مواضع اخرى ، في رسائل اخرى يتعرض للنقد من قبل المؤلف ، فهل نرجح ، معاصرته له ؟ أم هو كلام ابن كمال . احد المشتغلين على كتاب المواقف وشروحه ، وحواشيه وذيوله ؟ (مح) .

)94(مشوشة ، ومطموسة ربما (مدح) او (قدم) ، (مح) .

)05(حجة منطقية القصد منها ، النظر الى (العدم = الليس) و (الوجود = الأيس) على انهما اثر من اثار علة خارجية (قادرة عظيمة) خالقة مبدعة ، كانت وراء الحدوث ، بفضلها انتقلت الموجودات من (العدم الى الوجود) او قل من لا شئ ، الى شئ .

)15(اي بفعل علة خارجية .

)25(ربما يقصد ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، الذي استشهد هنا بأقواله من الشفاء والنجاة . هذا اولهما .

اما ثانيهما فربما يقصد العضد الايجي نفسه والا نذهب الى الطوسي ، والكرماني والأبهري والجرجاني ، والهروي ، والسلكوتي .. والفناري والبساطي والقزويني والتبريزي وميرزاجان واللاهوري وغيرهم ممن شرح المواقف ! (مح) .

)35(وردت في الاصل (ليست) ، (مح) .

[45] اي مصادرة عن مطلوب ، لا جديد ولا اضافة ولا انتاج .

[55] بمعنى ، لا بالعلة ، اي ان عدم الشئ الحادث ، سابق بالذات على وجوده ، لا سبق علة ، بل سبق زمان ، (مح) .

[65] جميع الموجود بين ( ) من صناعة المحقق .

مصادر التحقيق والدراسة ومراجعها :

١- آل ياسين ، د. جعفر : (مقدمة كتاب تحصيل السعادة للفارابي) ط١ دار الاندلس بيروت ١٩٨١ .

٢- الاعسم ، د. عبد الامير : المصطلح الفلسفي عند العرب . ط١ منشورات مكتبة الفكر العربي . بغداد ١٩٨٥ .

٣- ابن عربي ، محي الدين (ت ١٢٤١/٦٣٨ م) : فصوص الحكم ، بمجلدين ، نشر وتحقيق وتعليق ابو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٥٤ .

٤- ابن سينا ، ابو علي الحسين : كتاب النجاة ، نشر محي الدين صبري الكردي القاهرة ١٩٣٨ .

ابن سينا ، ابو علي الحسين : موسوعة الشفاء ، فريق عمل بأشراف ابراهيم مدكور ، القاهرة (١٩٦٤ – ١٩٨٠) .

٥- ارسطو طاليس : كتاب الطبيعة ، ترجمة اسحاق بن حنين . وشرح ابن ابي السمح ويحيى بن عدي ومتى بن يونس ، وابي الفرج بن الطيب . تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي (ج/١) القاهرة طبعة ١٩٨٤ و (ج/٢) القاهرة ١٩٦٥ .

٦- الايجي ، عضد الدين (عبد الرحمن بن احمد ت ٧٥٦ هـ) : كتاب المواقف ، نشر مكتبة المثنى ، بيروت القاهرة ١٩٧٨ . نسخة مصورة على طبعة الاستانة ١٢٨٦ هـ .

٧- الجابري ، علي حسين : الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية منشورات دار عويدات بيروت ١٩٧٧ . وطبعة دار المجدلاوي عمان ٢٠٠٧ .

٨- الجرجاني ، الشريف (ت ٨١٦ هـ) : التعريفات . طبع البابي واولاده القاهرة ١٩٣٨ .

الجرجاني ، الشريف (ت ٨١٦ هـ) : شرح المواقف للايجي ، طبعة دار الخلافة في الاستانة . مطبعة حاج محرم افندي . الاستانة ١٢٨٦ .

٩- سالم ، ماجدة عماد الدين : أيس وليس بين العربية والسريانية (دراسة مقارنة) بحث منشور في العدد (١٧) من مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية بغداد ١٩٩٩ .

١٠- السلكوتي ، ابو عبد الله : حاشية على (مواقف الايجي) طبع الاستانة مع مجموعة الشروح والحواشي ، ١٢٨٦ هـ .

١١- زوراب ، عمر فرج : مسألة خلق العالم في فلسفة الكندي ، رسالة ماجستير ، باشراف د. علي حسين الجابري ، من كلية الاداب ، جامعة مصراته، تموز ٢٠٠١ .

١٢- الفارابي ، ابو نصر : كتاب الفصوص مع مجموعة الرسائل المحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة طهران تحت رقم ٢٤٠ .

الفارابي ، ابو نصر : كتاب تحصيل السعادة ، تحقيق وتقديم وتعليق د. جعفر آل ياسين ، ط١ دار الاندلس بيروت ١٩٨١ .

١٣- الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) : ذيل كتاب المواقف للأيجي ، منشور ضمن كتاب الفرق الاسلامية تحقيق سليمة عبد الرسول بغداد ١٩٧٣ .

١٤- الكندي ، ابو يوسف يعقوب (ت ٢٥٢ هـ) رسائل فلسفية (المجلد الاول) تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي ابو ريدة ، القاهرة ١٩٥٠ .

الكندي ، ابو يوسف يعقوب (ت ٢٥٢ هـ) : رسائل فلسفية (المجلد الثاني) تحقيق وتقديم محمد الهادي ابو ريدة ، القاهرة ١٩٥٣ .

الكندي ، ابو يوسف يعقوب (ت ٢٥٢ هـ) : رسالة الحدود ، ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب صناعة الدكتور عبد الامير الاعسم ، ط١ بغداد ١٩٨٥ .

١٥- مجهول : (تحرير احمد بن سليمان بن كمال ت القرن العاشر او الحادي عشر هـ) (وقيل شمس الدين محمد بن سليمان بن كمال) .

أ- رسالة في تحقيق الأيس والليس (٥ اوراق) .

ب- رسالة في طبقات المجتهدين (٦ اوراق) .

ج- رسالة في تحقيق النظم والصياغة (٣١ ورقة) .

د- رسالة في اسلوب الحكيم (٤ اوراق) .

هـ- شرح رسالة الخمرية (١٨ ورقة) .

و- رسالة في تحقيق الطفرة في الجسم (٦ اوراق) .

ز- رسالة في تحقيق وجوب الواجب (٢٦ ورقة) .

ح- رسالة في بيان مسألة خلق القرآن (٢٢ ورقة) .

ط- رسالة في بيان القضاء والقدر (٢٦ ورقة) .

ي- رسالة في التعريب (١٧ ورقة) .

ك- رسالة في القائلين بالواجب موجب بالذات (٢٣ ورقة) .

ل- رسالة في الحال من اصحابنا واصحاب الاعتزال (٥ اوراق) .

م- رسالة في لزوم الامكان للممكن (١١ ورقة) .

ن- رسائل اخرى بلغت (١٩) رسالة متنوعة ، في موضوعات كلامية واصولية وفلسفية وعملية مختلفة .